

يوه

تحت نير الاحتلال الإيطالي

عبد اللطيف واكد

سيوة

تحت نير الاحتلال الإيطالي

بقلم

عبد اللطيف واكد

الإهداء

إلى الرجل الذي خبرته فوجدت فيه رجولة كاملة غير منقوصة

إلى سعادة اللواء

عبد المنصف محمود باشا

مدير مصلحة خفر السواحل

أهدى كتابى

عبد اللطيف واكد

أغسطس سنة ١٩٤٦

مقدمة

تعتبر واحة سيوة من أهم الواحات المصرية وأقدمها صلة بالتاريخ المصرى القديم. كانت ذات شأن كبير فى عالم اللاهوت المصرى والاغريقى، لانتقال الآلة آمون إليها..

حج إليها الاسكندر الأكبر، وأمها كبار الفلاسفة والعلماء وقصد إليها الغزاة. تبعت مصر حيناً وانفصلت عنها أحياناً فى فترات ليس هنا مجال تفصيلها.. يقطنها قوم ذووا عادات غريبة ورطانة خاصة بهم يتفاهمون بها فيما بينهم. تتفجر فيها العيون العذبة وتترقرق بين ربوعها الجداول.. من أهم حاصلاتها البلح والزيتون وزيته والفواكه..

دهمتها جيوش المحور خلال الحرب الأخيرة وهذا ماقصدنا إلى تفصيله فى هذه العجالة .

● انسحاب :

وأصبح الناس فاذا هم يشهدون على غير العادة.. بعض الجنود من جيش الحلفاء. يضرمون النار فى مخازن البنزين، وبعض المؤسسات الحربية فى الواحة. فأدركوا مما يرون أنهم يزمعون الرحيل، كما ارتحل من قبلهم كثيرون، فقد بدأت القوات الانجليزية فى الانسحاب من سيوة فى العشرين من يونيو سنة ١٩٤٢ على التوالى، حتى إذا ما انتصف اليوم الثلاثين منه، كانت آخر فصيلة (١) تغادر الواحة، مخلفة إياها وليس بها غير بضع بنادق عتيقة، ومع كل بندقية جندى محلى من قوة البوليس، يحمل عدداً من الطلقات، لاتكفيه لاصطياد أرنب برى..!

وبهذه البنادق العتيقة التى لاتصل طلقاتها إلى مرمى النظر، وهؤلاء الجنود القلة، ستواجه الواحة العزلاء،

(١) كانت آخر فصيلة من جيش الحلفاء غادرت الواحة من الفرنسيين الاحرار. !!

جيش الغزاة اللجب الذى يتقدم على الساحل نحـو الاسكندرية ، بمـا معه من عدة وعديد.؟

وانقطعت بالواحة السبل ، فأسـلاك التلفون لم تعد متصلة بينها و بين بلاد القطر ، وجهازات اللاسلكى حملها المنسحبون معهم . والطريق الممهد سدعليهم ، ولم يعد لهم من سبيل يستطيعون اجتيازه نحو البلاد إلا طريق الواحات البحرية ، وإنه لطريق وعر المسالك غير مأمون ..

وهكذا أصبحت الواحة بمعزل عن العالم أجمع ، فاستولى على الأهالى ، والموظفين ، نوع من القلق والاضطراب النفسى والفكرى ، وباتوا وهم يتذاكرون ظلم الطليان واستبدادهم ، وما ارتـكبوه من جرائم فى طرابلس وبرقة ، وكأنما الزمان قد راح يعيد على أسماعهم ، صيحات الذعر والفزع التى ترددت أصداؤها فى آفاق العالم الاسلامي .. صيحات ذلـكم الليبيين الذين لاقوا على أيدى هـؤلاء القساة ، مالم يلقه أحد من التعذيب ، حتى ولا من وقعوا فى إسار القبائل الهمجية

فى أواسط أفريقيا .. وانتصب امام أعينهم شبح ذلك الشيخ المهيب بطل الصحراء المغوار وفارسها الأوحد (عمر المختار) الذى قذفوا به من الطائرة انتقاما منه على وطنيته الخالصة وشجاعته النادرة .

ودفعهم الخوف مما هم مقبلون عليه ، أو هو مقبل عليهم ، من هول ، إلى أن يستعيدوا فيما بينهم أقاصيص أخوانهم الليبيين الذين هاجروا إلى الواحة . فراراً من طغيان الطليان وتعسفهم ، وأقاموا فيما بينهم حينا من الدهر . آخذين بأسباب التجارة معهم ثم هجروا الواحة وهاجروا ثانية إلى مكان آخر ، لما أن ظهرت فى الأفق بوادر ماسوف يكون لتقدم الغزاة المطرد ، على الساحل من نتائج ، خوفا من أن يقعوا فى قبضتهم لثانى مرة ، فتـكون القاضية .. !؟

● شبح مخيف

وكما أخذ الخوف يتسرب إلى قلوبهم من الغزو والغزاة ، راح شبح آخر . يلوح لهم فى الفضاء العريض ،

بقبضته القاسية ، مهدداً بالموت .. !! .. ذلك الشبح المخيف هو شبح المجاعة التى أوشكت أن تنقض عليهم بما لها من مخالب وأظفار فلاتبقى فيهم رمق من حياة . . !!

فتعيين الواحة من التموين لم يصرف لها عن شهر يونيو ، والكميات الموجودة بها من القمح (١) والدقيق والأرز علاوة على قلتها قد أخذ التجار فى اخفائها .

وساءت الحال ، وبدأت ظاهرة الجوع تبدو على بعض النساء والأطفال من الفقراء ، واشتدت بهم حتى أن البعض منهم شوهد وهو يبكى ألماً . فالنقود فى أيديهم ولا يجدون مايبتاعونه ليردوا به غائلة الجوع .. ولا يملكون من أنفسهم مايساعدهم على الاستجداء إذا

---

(١) لاتزرع سيوة غير قليل من القمح والشعير لا يكفيها أكثر من شهرين أما بقية أيام السنة فأنها تستورد حاجتها من المؤونة وأغلبها شعيراً من المنطقة الساحلية - برانى ومطروح - والقمح والدقيق من وادى النيل . وفى هذه السنين رحل العربان المقيمين بالساحل فلم يزرعوا الارض ومن أقاموا شغلتهم الحرب عن الزراعة لذلك فقد كان كل استهلاك سيوة يستورد من وادى النيل . !!

وجد بين الأهلين من عنده استعداد لأن يتصدق فى مثل هذه الظروف القاسية .. فان من صفات السيويين المشكورة ، أنهم لا يستجدون مطلقا ، حتى وإن أشرفوا على الهلاك ، وإن الواحد منهم ليموت جوعاً ، ولا يمد يداً لانسان طالبا إحسانا .!

أمام هذا الظرف القاسى الذى يجتاح الواحة من أقصاها إلى أقصاها وهذه الموجات المفزعة التى تسرى فى هوائها ليل نهار .. لم يجد « عبد الرحمن زهير » مأمور الواحة بداً من أن يقوم بعمل نحو هؤلاء التعساء فيخفف من بأسائهم قدر الطاقة .. فاجتمع بالمشايخ وأخذوا يتشاورون فى الامر ، وقد استقر رأيهم أخيراً على أن يقوموا معه بهجمة صادقة على المحال التجارية فيستولوا على مابها من مواد غذائية ، ثم يطلبوا إلى الاغنياء التبرع بنصف الكميات التى عندهم .. وكان أن اجتمع لديهم مايكفى المعوزين بالواحة لمدة شهر ، وزع عليهم بالعدل والقسطاس .. !!

هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى استأجر المأمور

جملين وأرسلهما برفقة دليل القسم إلى الواحات البحرية ، لعل الأمور هناك يستطيع أن يعمل عملا ، لانقاذ هذه الارواح ، التى سدت عليها الطرق ، وانقطعت بها السبل.

وحمل الدليل عدا ذلك رسالة لسعادة مدير الحدود . وقد قال فيها .

« لقد نفد ما بالواحة من الدقيق والارز .. أما الحبوب فقد اختفت تماما ، اللهم الا كميات بسيطة لدى بعض أغنياء الواحة الذين احتفظوا بها للقوت مدة ما . . فان لم تصل إلى سيوة كميات كافية من المؤن ، قبل منتصف الشهر المقبل ، فستكون الحالة فى أسوأ درجاتها .. !!

ثم قال : أعلم أن الحرب لاعقل لها ، ولها ضروراتها ، ومحتماتها . ولكن لايخفى على سعادتكم أن الجوع لاعقل له أيضاً . وأن له ضرورات ومحتمات أشد وأدهي . . ولذلك فانى استغيث بسعادتكم أن تسعفوا حوالى الخمسة آلاف نفس من أهل الوطن العزيز ، بما يسد الرمق .. !!

وهناك التماس آخر أرجو إجابته .. وهو أن يرسل إلى قسم سيوة إن كانت التموينات سترسل للواحة باللوريات خمسة عساكر مصريين أو سودانيين ، حيث أخشى إن استبد الجوع بالأهلين أن أفقد السيطرة عليهم خصوصاً وأن رجال البوليس الموجودين كلهم من الأهالى .. ! »

كان ذلك فى اليوم التاسع عشر من يوليو سنة ١٩٤٢ ومضى الرسول بما معه من رسائل الاستغاثة وطلب العون ، ولكنه ما كاد يقطع مرحلة أو مرحلتين من طريقه ، حتى استحالت عليه العودة ، ذلك لأنه فى اليوم الثانى لارتحاله احتلت الجيوش المعادية الواحة .. فدخلت فى طور جديد وتحت سلطان جديد .

— ٢ —

● احتلال

ففى صبيحة يوم الاثنين الموافق عشرين من يوليو شوهدت طائرتان تحومان فى سماء الواحة ، وعلى ارتفاع

بسيط ، وكانتا قادمتين من جهة الغرب . وظلتا تدوران فوق المركز والبلدة ، لمدة خمس وعشرين دقيقة . . ثم هبطتا فى المطار ، ورؤى ثلاثة أشخاص يتركونها ويتجهون نحو البلدة مشياً على الأقدام .. !!

ولأول مرة بعد جلاء القوات البريطانية عن الواحة تهبط طائرة فى المطار ، الامر الذى أثار فضول الاهلين وأيقظ مخاوفهم ، وكان المأمور يرقب الامر بدقة ، لذلك فقد أرسل سيارة المركز لاحضار هؤلاء القادمين المترجلين ، لكى يختصر الوقت الذى سيكون من نصيبه أن يقضيه منتظراً إياهم حتى تصلوا إليه ، فاذا هم ضباط طيارون من الايطاليين .. !!

وسأله واحد منهم عما إذا كان قد جاء الواحة أحد قبلهم من جيوش المحور .. فأجاب بالنفى .. فاذا بهم يرقصون طرباً وابتهاجاً بأنهم نالوا اشرف الاولوية فى دخول الواحة .. ثم أخبروا المأمور أن قوة إيطالية فى طريقها إلى سيوة ، آتية من الجغبوب لاحتلال الواحة احتلالا عسكرياً .. !!

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر من نفس اليوم ، وصلت القوة المنتظرة فى لوريين كبيرين ، وكان قوامها أربعين جندياً ، بقيادة « اللفتننت كولونيل جلى » ومعه ثلاثة من الضباط ، واحد منهم طبيب .. !!

● العلم

واصطفت القوة أمام قسم البوليس ، وصعد ضابط منهم لينزل العلم المصرى من فوق ساريته ، فلم يكد يمسه حتى صرخ فيه العسكرى « عبد الله ابراهيم عياد » قائلا : لا تنزل العلم .. !! ثم أخذ العدة للدفاع عن علمه الحبيب .. ولكن المأمور الذى كان يرى كل شىء ، أشار إليه ألا يفعل شيئاً .. ولقد كان ذلك كياسة منه وحسن تصرف .. فكيف لا يشير اليه بالسكوت وهو لا يحمل من الطلقات ما يكفيه لاصطياد أرنب برى .. ؟؟ وهذه قوة مسلحة ، ومن ورائها قوى كبيرة ، وهم عزل فى واحة منعزلة ، لا عون لهم ولا نصير .. !

إن أقل حركة معادية ، او فيها تعنت ، تودى بهم

جميعاً إلى مهاوى الموت .. وان مصير الأهالى والموظفين جميعاً لمعلق بتصرفات المأمور ، فان لم تكن تصرفات حكيمة ، فالويل كل الويل له ولمن معه من جند وأهلين..

ولقد قدر الرجل ذلك كل التقدير ، فكظم غيظ نفسه ، وكبح جماحها ، وهدهد ثورتها ، وتذرع بالصبر إلى أن تنجلى الأمور ..

وقال الضابط الايطالى . مجيباً على صرخة الجندى السيوى : ما أردنا أن ننزل العلم المصرى . . ولكننا سنرفع بجانبه العلم الايطالى .. !!

وخفق العلم الايطالى بجوار العلم المصرى ، على دار الحكومة المصرية الرسمية بالواحة .. وكأنما كان فى طياته التى ينشرها الهواء أسى يزرعه فى النفوس ولوعة.. وحزناً يوزعه بسخاء على من يشهدون لأول مرة علماً غير العلم المصرى ذى الأنجم والهلال ، يخفق على دار من دور الحكومة فى أرض الوطن العزيز ..

لحظة رهيبة تلك التى مرت بالمأمور والأهلين ، حز الألم فى نفوسهم. وأغرورقت عيون البعض منهم بالدموع ،

واعترى الجميع وجوم وحزن اشتدت وطأتهما عندما حيت الجنود المحتلة العلم الدخيل .. وكانت تحيتهم مزيجاً من الخفة والطيش ، والمرح والسرور .. !!

ودخل المأمور كئيباً إلى مكتبه ، وتبعه المشايخ واجمين ، ولم تمض برهة حتى كان القائد المغتصب يدخل بضباطه عليهم .. !

وما أن رآه المأمور داخلاً حتى هم بمبارحة مكانه من مكتبه ، متخلياً له عنه .. ولكنه أشار له ألا يفعل .. ثم قال بواسطة المترجم :

— « إن القوات الايطالية تدخل الواحة باعتبارها محاربة فقط .. ثم أضاف : إننا لن نتدخل فى الادارة المصرية مطلقاً وسنعمل من جانبنا على ألا يحدث من الجنود المحتلين أى اعتداء على أحد من الأهلين أو الموظفين . وأرجو ألا يحصل اعتداء من الأهالى على أحد من الجنود .. !! »

فأفهم المأمور المترجم أن السيويين بطبيعتهم مسالمون غير ميالين للمشاكسة والأذى .. !

ولم يشأ المأمور وقتئذ أن يحتج على رفع العلم الايطالى فوق دار الحكومة الرسمية .. بل ترك ذلك لفرصة أخرى بعد ما تخمد نشوة النصر فى نفوس الغزاة ، حتى لا يضيع صوته واحتجاجه بين أنغام الزهو والخيلاء التى تتردد فى نفوسهم فلغيرها لا يسمعون .

وفى اليوم الثالث والعشرين من يوليو وصلت إلى الواحة قوة أخرى بقيادة « الكولونيل فولينى » الذى ذهب على الفور إلى حيث قابل المأمور فى مكتبه ، وكان مجتمعاً بالمشايخ وكرر لهم ماسبق أن قاله « جلى » من عبارات التطمين وأضاف عليها « إننا نحترم مصر واستقلالها ومالها من سيادة » ثم أمر المترجم أن يهتف بحياة جلالة الفاروق .. فشكره المأمور على ذلك .. !!

وهكذا تتالت القوات على الواحة ، حتى اكتمل عدد الجنود الايطاليين أكثر من ألفى جندى ، بين بيادة وطوبجية وسيارات مدرعة ، بقيادة الجنرال .. « اسابلودينزيو » أما القوات الألمانية فكانت منها وحدة من السيارات المصفحة ، عدد ضباطها لا يزيد عن

العشرة .. وقد احتلت هذه القوات المعسكرات المصرية التى كانت تقيم بها القوات الانجليزية قبلا .. كما سكنت بعض منازل الأهالى .. ولقد اتخذ الجنرال من نادى الموظفين ، الذى يقع فى أول البلدة مكتباً له ، ومن الاستراحة الحكومية منزلا .. ثم اتخذوا البيت المعد كاستراحة لموظفى وزارة الزراعة - فيما بعد - كمعتقل لمن يقبض عليهم من الأهلين .. وجعلوا من بيت الشيخ ا . م . مسكناً لبعض النسوة الايطاليات اللائى قدمن للتسلية والترفيه عن الجنود فى الواحة المنعزلة .

***

وجعل الضباط على مختلف رتبهم يتوافدون على دار المركز فيقابلون المأمور ، الذى أخذ معهم فى بعض الحديث ، فأظهر لهم ألمه البالغ من رفع العلم الايطالى على دار الحكومة المصرية الرسمية ، فحملوا ذلك إلى قائدهم ، الذى قام بدوره فخاطب المأمور فى ذلك سائلا إياه عما يضيره من هذا الأمر فاحتج زهير قائلا : إننا أمة غير محاربة لكم ، فكيف ترفعون علمكم على دار الحكومة الرسمية ؟؟

فأمر الجنرال فى الحال بانزال العلم الايطالى من فوق المركز وظل العلم المصرى يخفق وحده من جديد .. ؟!

كان ذلك فى الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٤٢، وكان أول ظفر يفوز به زهير من القوات المحتلة ، وقد غمرت الناس موجة فرح وسرور ، وتوافدوا على المركز يهنئون المأمور ..!

— ٣ —

● استهتار

أما ظفره الثانى فقد سجله بعد ذلك بقليل عندما كثر اختلاف الجنود والضباط إلى دار المركز ، والدخول فى غير حفل ولا اكتراث ، مقتحمين مكتبه بدون استئذان . . فقد كتب للجنرال يقول :

« سأمر العسكرى المكلف بحراسة باب مكتبى ، أن يحصل رسماً من كل داخل كما يفعلون فى حديقة الحيوانات .. »

فأصدر الجنرال أمراً كتابياً باللغتين الايطالية والألمانية ، بأن لا يدخل أحد منهم المركز فيقابل ممثل الحكومة المصرية إلا بتصريح من القائد .. وعلق هذا الأمر فى ردهة القسم ..

● رقابة

وفى نفس الوقت وضع عليه رقابة دائمة ، إذ عين جاويشاً من رجال البوليس الحربى (بريجاديرى) ليكون بالقسم مع رجال « القره قول » على الدوام ، ولما أن رآه المأمور بادر بالاستفهام عن السبب فى وضع هذا الجاويش بالمقر الرسمى للحكومة المصرية ، فأجيب بأنه وضع ليكون تحت أمره ، فيما لو حدث شىء من أحد الجنود ، إذ يتعاون مع رجال البوليس فى معالجة الأمر ، وقد جعلوا معه مترجماً من أهل الجغبوب (١) فسكت المأمور على مضض وعمل

---

(١) السبب فى تعيينهم المترجم من أهل الجغبوب ذلك لأنه يعرف الايطالية والعربية ولغة السيويين المحلية لكثرة اختلاط أهل سيوة بأهل الجغبوب فى القديم من الزمان قبل أعطائها للايطاليين فى عام ١٩٢٥ فى عهد وزارة زيور باشا إذ أن لسيوة لغة خاصة بها فصلناها فى كتابنا « حياة الصحراء » الذى لم يطبع بعد . !

من ناحيته على عدم الاكتراث به ، على أن هذا الجاويش كان واحداً من رقباء عديدين من الايطاليين ، وبعض الأهالى السيويين الذين بدأوا يمالئون المحور .

● دوريات

ثم عينت السلطات الدوريات التى أكثرت من المرور بالواحة ليل نهار ، وعاد المأمور يتساءل عن السر فى كثرة تجوال هذه الدوريات فى البلدة ، فأجيب بأنها تعنى بالمحافظة على الأهلين والجنود ، خوفا من أن يعتدى أحد الفريقين على الآخر . فقام المأمور على الفور وعين من جانبه جنوداً من البوليس المحلى لتكون مع هذه الدوريات .

● مطالب

ثم طلبت السلطات المحتلة الى المأمور :

أولا : أن يوافيها بكشوف بأسماء الموظفين والمستخدمين

بسيوة ، وبيان عدد السكان ، والحيوانات والأسلحة المرخص بها .

ثانيا : أن يسحب جميع البنادق والرصاص والغدارات من أصحابها .

ثالثا : الأفراج عن « رزوق خميس الليبى » الذى كان معتقلا بسيوه بتهمة تهريب الأسرى الليبيين من المعتقلات الانجليزية بالعلمين ..

رابعا : تسليم جميع الأسلحة « الجبخانة » الايطالية والألمانية(١) الموجودة طرف الأهالى أو بمخزن الحكومة وكذلك « الجبخانة » التى سلمتها له القوات الانجليزية قبل رحيلها من سيوه .

خامسا : حصر الكميات الموجودة بالواحة من السكر والشاى والزيت وتخصيص جزء منها للقوات المحتلة .

---

(١) لما انسحبت جيوش جرزيانى من سيدى برانى تركت عتاداً حربيا كثيراً عند برانى والسلوم وقد قامت دوريات الجيش المصرى بأحضار هذه الاسلاب إلى سيوة وبقى بها البعض والبعض الآخر تسلم لاولى الامر

سادساً : أن يعد كشوفا بأسماء وماهيات الموظفين والمستخدمين لتتولى السلطة صرفها لهم اعتبارا من أول يوليو سنة ١٩٤٢ .. !!

أما فيما يختص بالمطلب الأول والثانى والثالث والرابع فقد تمت الاجراءات كما أرادت السلطات المحتلة . وأما فيما يتعلق بالمطلب الخامس فقد حصر المواد الموجودة بالواحة وخصص جزءاً منها للقوات المحتلة ، واحتفظ للأهلين بالباقى معلنا السلطات الايطالية أنه لا يمكن الاستغناء عن أكثر من ذلك ، ثم أجرى على هذا الباقى نظام التوزيع بالبطاقات .

وأما المطلب السادس فقد رفضه المأمور بحجة أن لديه فى خزينة الحكومة التى تحت يده ما يكفى لصرف الماهيات عدة شهور وأنه إذا احتاج إلى نقود فسيطلب منهم ، فطلب الجنرال منه أن يكون ذلك كتابة ، فكتبه وبعث به اليه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عقد قروضا مع الأهالى وباع ممتلكات الحكومة بالواحة فتكون لديه

مبلغ اكتفى به طوال مدة الاحتلال .. ! !

وفى الخامس عشر من أغسطس سنة ١٩٤٢ وصل إلى سيوه المريشال باسنكو حاكم ليبيا العام ، فأبلغت السلطات الايطالية نبأ قدومه إلى المأمور وأنه يعتزم زيارته هو والموظفين والمشايخ والأعيان فى أى مكان يختارونه ، فى الساعة الثانية بعد الظهر من نفس اليوم . فعين المأمور المكان بحديقة الشيخ مشرى محمد سعيد كبير المشايخ ، وعندما اجتمع بهم كرر لهم عبارات التطمين التى سبق أن سمعوها ممن قدموا قبله . ثم أضاف أن الايطاليين والألمان يحترمون استقلال مصر وسيادتها احتراماً تاماً . ثم هتف بحياة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول . فشكره المأمور على ذلك

وانتهز المأمور فرصة تناول الشاى معه ، وتحدث اليه بشأن امداد سيوه بالمواد الغذائية اللازمة لها حيث أنها ترزح تحت عبء ثقيل من وطأة الجوع الذى يقسو على أهليها شيئاً فشيئاً . فوعد بأنه سيعمل على ذلك عاجلا . !

وفعلا أخذت السلطات الايطاليـة فى توريد المواد الغذائية للقسم لتوزيعها على الأهالى . وقد بلغ ماوردته ٢٦٤٣٦ ك . ج . من الدقيق و ٢٩١٥٢ ك . ج . من الأرز و ٣٣٦٧٣ ك . ج من الشعير ، على دفعات خمس . وزع منها على الفقراء بالمجان ٢٤٧٨ ك ج دقيق و ٣٨٥ ك .ج . من الأرز . أما الباقى فقد أجرى توزيعه على الأهالى بمختلف طبقاتهم ، وكذلك الموظفين بالثمن الذى قدره المأمور مراعيا فيه قدرة الفقراء على الدفع : أربعة ليرات لأقة الأرز أو الدقيق وثلاث ليرات لأقة الشعير . وقد وافقت السلطات على ذلك .

ولم تقبض السلطات ثمن هـذه المواد نقداً بل طلبت الى المأمور أن يمدها بالفواكه والبلح والدجاج والبيض واللحوم واللبن على أساس التبادل التجارى .

— ٤ —

● نشاط المخابرات

وبينما السلطات الايطالية مشغولة والمأمور فى تنفيذ مطالبها ، كان هناك سلاح خفى يعمل بين الأهلين لتفكيك الكتلة ، وزرع الشقاق فيما بينهم ، ذلك السلاح الخفى هم رجال المخابرات الايطاليـة ، إذ اندسوا بين الأهالى يدخلون بيوتهم ويجالسونهم إلى وقت متأخر من الليل. حتى انشق بعضهم على بعض ، وانقسموا علاوة على انقسامهم القديم (١) وظهرت العداوات والأحقاد التى كانت كامنة فى النفوس ، فاذا كل ذى ثأر يريد أن يثأر لنفسه ، واذا كل ذى مأرب يريد أن ينال مأربه من

---

(١) أنقسام السيويين تاريخى إذ البلد منقسم أهله الى شرقيين وهم الذين يقيمون فى الجهة الشرقية منه ، وغربيين وهم الذين يقيمون فى الجهة الغربية منه ، وبين الفريقين عداوات قديمة ما كادت تخمد جذوتها حتى جددها الطليان بدسهم وليس هذا فحسب بل وجعلوا من الشرقيين والغربيين كل فريق ينقسم على نفسه .

غريمة .. وتنافر الناس ومنهم من انحاز إلى جانب المحتلين يمالئهم ويتجسس لهم مشبعاً شهوة انتقامية قامت فى صدره من أحد أبناء عشيرته .. ومنهم من لزم الاعتدال واصالة الرأى .. ولقد وصلت الدرجة ببعض الأهلين أن اضطلعوا بمراقبة المأمور والتجسس عليه ..

وليس هذا فحسب بل وراحوا يروجون اشاعات بين الأهلين بأن القوات المحتلة ستعتقل بعض الخطرين الذين يخشى منهم على سلامة القوات الايطالية بالواحة . وكان المأمور لايكف عن نصح الأهالى بأن لاينتهز أحد الفرصة لاشباع شهوته الانتقامية من غيره . وانهم يجب أن يتكاتفوا ويتعاونوا ليجتازوا هذا الظرف العصيب. ولكن فريقا منهم أضلته الأهواء .واستهوته الدعاية ، فلم يعمل بالنصيحة.

● اعتقال

وفى فجر ١٧ اغسطس قامت ثلة من الجنود مدججة بالسلاح ، وضربت نطاقا حول جبل الموتى ، حيث يقيم

فريق من الأهالى ، فى المقابر هناك ، فمنعت الخروج منه أو الدخول إليه ، وتقدم ضابط المخابرات «الكابتن كابلى» وبصحبته بعض الجنود ، وبيده مصباحه الكهربائى ، وعلى المغارة التى يسكنها « الشيخ على أحمد صالح (١) » ضربوا حصاراً آخر ، ثم ولج الضابط الباب ، وأهل الدار – إن صح تسميتها بالدار – نيام . وفجأة تيقظ الشيخ على أحمد صالح منزعجا لما أحس بالنور الكهربائى يغسل وجهه . واذ أفاق وجد نفسه وجهاً لوجه ، أمام الضابط « كابلى » ، وحوله جنوده شاكى السلاح ..

وبعد دقائق كان الشيخ على يسير بين الحراس إلى المعتقل فى المنزل المعد كاستراحة لموظفى وزارة الزراعة إذ هو فى معزل عن البلد .. !!

---

(١) على احمد صالح : كان عاملا فى فرقة تطهير مصارف الصحة . ثم أخذ بأسباب التجارة تابعاً لبعض التجار ، ثم أدركته ظروف الحرب فأثرى ثراء فاحشا مما جعل بعض الاهالى يحقدون عليه ويشون به . ! ! ويعرف بالواحة باسم « على جيده »

وكما تم اعتقال الشيخ على احمد صالح تم اعتقال أخيه الحاج عمران ، وكذلك الحاج ابراهيم جبريل (١) .

وفى الساعة التاسعة من صباح نفس اليوم ذهب « الكابتن كابلى » ضابط المخابرات ومندوب القيادة العليا بالواحة ، إلى حيث قابل المأمور الذى كان قد أحاط بكل شىء علماً قبل شروق الشمس ، فأبلغه بما تم من اعتقالات .. بمعرفته .. وانه لم يعتقل من اعتقلهم إلا لأنه يرى فيهم خطراً على القوات الايطالية بالواحة ، وأن لديه مستندات كتابية تثبت ذلك ، وتؤيد الاشتباه ، وتوقع الخطر من جانبهم ، علاوة على ماهو معروف عنهم من صداقتهم للانجليز .. وسيقوم بترحيل المعتقلين فى الساعة الرابعة والنصف بعدالظهر ، بالطائرة إلى جهة ما فى ليبيا .. لذلك فان الشيخ على احمد صالح

(١) الحاج ابراهيم جبريل : أحد رجال الواحة المعروفين بالشجاعة والجرأة وعدم المبالاة فى سبيل الحق وأداء الواجب ..

يرجو مقابلته قبل الرحيل .. (١)

وحاول المأمور إقناع الضابط « كابلى » بخطأ الفكرة التى أخذها عن المعتقلين وعدم صحة الاشتباه الذى أدى لاعتقالهم ، ولكنه لم يكن مستعداً للاقتناع . بل كان متشيعاً لفكرته ، مؤمنا بها .. الأمر الذى جعل المأمور يذهب إلى حيث يقابل المعتقلين ثم يعود من عندهم متوجها إلى مكتب الجنرال ليحدثه فى الأمر ، ولكنه لم يجده إذ كان متغيباً فى جغبوب ولن يعود قبل المساء .. !!

وإذا جاء المساء تكون الفرصة قد أفلتت من يده ، وتكون الطائرة قد أقلعت بالرجال الذين سوف يذهبون ضحية وشايات كاذبة لا أصل لها .. وكانت الساعات تمر والوقت يأزف ، والطائرة على أهبة الرحيل ..

(١) كان الشيخ على احمد صالح قد طلب مقابلة المأمور والحاج رحيم عبدالقادر والشيخ عمر مسلم من أبناء قبيلته ليوصيهم بأهله وماله فقد آمن بالموت المحقق وقد قال للمأمور أنه لم يرتكب أية جريمة ولم يأت مايوجب اعتقاله وانه أرسل اليه لكى يؤكد له براءته.

● احتجاج المأمور

وإذ المأمور فى حيرته فقد الأمل فى إمكان إنقاذ هؤلاء التعساء ، أقدم « الكولونيل فولينى » نائب الجنرال . فتقدم اليه المأمور قائلا :

ولقد حضرت بصفتى الرسمية ، وهى أننى أمثل سلطة الحكومة المصرية كاملة ، فى هذا البلد المصرى ، وأطلب إيضاح موقف الشيخ على أحمد صالح وأخيه والحاج ابراهيم جبريل بالسؤالين الآتيين :

أولا : ان الشيخ على أحمد صالح وأخيه والحاج ابراهيم جبريل ، بصفتهم من الرعايا المصريين . قد اعتقلوا اليوم بواسطة السلطات الايطالية ، فمن واجبى كممثل للحكومة المصرية أن أهتم بأمرهم ، وأن أسأل عن الاتهامات الموجهة اليهم .. والتى تبرر هذا الاعتقال وعما إذا كان ماهو منسوب إليهم قد ارتكب بعد وصول القوات الايطالية إلى سيوة أو قبله .

ثانيا : إذا كان ماهو منسوب اليهم إنما وقع قبل

وصول قوات المحور إلى سيوة أو قبل دخول إيطاليا الحرب .. فهلا يكون من المناسب أن يفحص ذلك من الوجهة القضائية الدولية .. !!

وهل يمكن أن انتظر رداً على هذين السؤالين . ؟؟ »

فأجاب الكولونيل فى الحال :

« إننى أحترم هذه الأسئلة كل الاحترام باعتبارها صادرة من ممثل الحكومة المصرية ، وأردعليها بالنيابة عن القيادة الايطالية ، بأننى آسف كل الأسف لهذا الاعتقال الذى قضت به الضرورة الحربية .. !! »

وفقد المأمور آخر أمل كان يرقبه .. ولكن الكولونيل فولينى نائب الجنرال قال بعد لحظة قصيرة .

ولكن دعنا نتحدث بعيداً عن الرسميات .. فأصاخ له المأمور واسترسل هو :

— ما رأيك الشخصى فيهم خصوصاً الشيخ على أحمد صالح .. !

فأجاب المأمور : بكل صراحة هو رجل طيب ، نافع للواحة كل النفع من الوجهة الاقتصادية ، إذ هو أكبر

تجارها ، ومحور التجارة فيها ، علاوة على أنه أحد المشايخ الرسميين للحكومة المصرية فى سيوة .

فسأله الكولونيل : أليس صديقاً لبعض الشخصيات الانجليزية المهمة .

فأجاب المأمور : إنى لا أعرف عن ماضيه شيئاً .. ولكن هل صداقة الانسان لبعض الشخصيات الانجليزية جريمة .. ؟ وهل أعددتم لذلك ملايين الجنود لتعتقل كل أصدقاء الانجليز فى مصر ؟؟ إنى لم أر فى سلوك الشيخ على بعد وصول قوات المحور إلى الواحة ما يوجب هذا الاشتباه .. !!

فقال الكولونيل : ألم يكن هذا منه ستاراً ليغطى به موقفه الصحيح .. ؟؟

فأجاب المأمور : لا أظن ذلك .. وان اعتقال هذا الرجل سيجعل حركة التجارة فى الواحة تضطرب ، إذ أنه يملك كميات كبيرة من البلح يمكنه أن يبادل بها ما يعوز سيوة .. وأنا أعلم أن له حساداً كثيرين حقدوا عليه لأنه طفر إلى الغنى فجأة وهم راكدين .. وأعلم أن هذا الفريق

الحاسد له الحاقد عليه ، قد دس له عند رجال المخابرات .

بل وقدم عريضة مكتوبة ، وفيها اتهام للشيخ على بما لم يفعله ..

وعلى أثر ذلك أمر الكولونيل بأن يؤجل ترحيل المعتقلين من سيوه ، إلى أن يأتى الرد على ملتمس المأمور ، هذا الذى سيرفعه هو إلى السلطات العليا ، وسيؤيده بقدر مايستطيع .. احتراماً للحكومة المصرية وممثلها كما ذكر أنه يسمح للمأمور شخصياً أن يقابل الشيخ على لينصحه بأن يهدىء(١) من ثورته ، ويكف عن الكلام إلى أن يبت فى أمره .

ولقد أغضب ذلك رجال المخابرات وأساءهم إلى حد بعيد ، الأمر الذى دفع الكابتن كابلى لأن يسافر بالطائرة التى أعدت لنقل المعتقلين ليرفع تقريره إلى القيادة العليا !!

---

(١) عندما ذهب المأمور لمقابلة الشيخ على يوم أن اعتقل وجده ثائراً مهتاجاً يقول كثيراً عن ظلم الطليان واستبدادهم ويعلن على الملأ أنهم قساة ليس فى قلوبهم رحمة وأنه لايهمه الموت بعد ذلك الذى سوف يذوقه على أيديهم ظلماً وعدواناً . !

وفى الساعة الواحدة إلا ربعاً من ظهر يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ ذهب ضابط الاتصال « الكابتن بلداسيرا » إلى المأمور فأخبره أن الجنرال يرغب فى رؤيته ومعه الشيخ على أحمد صالح وأخيه والحاج ابراهيم جبريل ، وقد يستطيع استلامهم من معتقلهم بدون حراس ، إذ صدرت الأوامر بذلك .. على أن تكون المقابلة فى الساعة السادسة والربع من مساء اليوم .

وفى الموعد المحدد ذهب المأمور وبصحبته الشيخ على أحمد صالح وزميلاه .. إلى مكتب الجنرال الذى استقبلهم هو والكولونيل فولينى بكل حفاوة . وبعد ما أخذ كل منهم مكانه بدأ الجنرال حديثه :

● تصريح

«إن الحكومة الايطالية قد فحصت موضوع الشيخ على وأخيه والحاج ابراهيم جبريل ، فحصاً دقيقاً ، ولم تر مايدعو لاستمرار اعتقالهم» وعلى ذلك فهو يطلق سراحهم ..

«إن السلطة الايطالية لايهمها كراهية بعض أهالى سيوه للبعض الآخر ، بل تترك ذلك لتصرف المأمور ، وأنها لاتتدخل فى إدارة البلاد بل تترك ذلك للحكومة المصرية وممثليها المسؤولين ..»

«إن كل مايهم السلطات العسكرية الايطالية إنما هو الأعمال الحربية لدواعى الحرب ، وستباشرها بدقة ، وعلى ذلك فهى لن تحاسب الشيخ على وزميليه ، أو أى أحد من الرعايا المصريين ، على أى عمل من الأعمال يكون قد مس أعمالها الحربية أو السياسية ، قبل وصول قواتها إلى سيوه .. وإن ما تهتم به ، وتأخذه بشدة ، هو أى عمل يصدر من أى فرد يمس الأعمال الحربية أو سلامة الجنود من تاريخ وصول القوات إلى سيوه .. ومن اليوم فيما يختص بالشيخ على وصحبه .. أما فيما يختص بعلاقة الأهالى ببعضهم فان سمعنا شيئاً من ذلك فانما نسمعه من ممثل الحكومة المصرية فقط .. إذا أراد. وهى تحترم الحكومة المصرية كل الاحترام .»

● دعاية

وصمت لحظة وأضاف : « إنى آمل أن يأتى قريباً ذلك اليوم الذى تترك فيه القوات الايطالية والألمانية الأراضى المصرية للمصريين وحدهم حكومةً وشعباً . مستقلين ذوى سيادة .. وعلى هذه الأسس فالشيخ على وصحبه الحرية الكاملة من الآن فى مباشرة أعمالهم التجارية كالمعتاد ، والقيام بالمبادلات التجارية بينهم وبين السلطات الايطالية على الأسس الاقتصادية الصحيحة .. »

وكأنما اغتنمها الرجل فرصة طيبة للدعاية ، وبينما هو يفيض فى شرح نبل مقاصدهم للأمور ، وحسن سياستهم المرسومة ، كان « الدوتشى » يعد جواده الأبيض الذى اعتزم أن يدخل به على رأس الجيش الظافر مدينة الاسكندرية .. ومعه تمثاله البرنزى الذى أعده لينصبه فى أكبر ميادين المدينة ، وبضعة ملايين من الليرات الايطالية لينتشر بها رجاله فى الأسواق المصرية فيستولوا على كل شىء فيها .. وليس ذلك فحسب بل

وجعل بين أمتعته مشروع الامبراطورية الرومانية التى حلم بانشائها فى افريقيا الشرقية بعارق عجز عن التفكير فيها الفراعنة القدماء (١)

أما التمثال ، فلا ريب أنه دفن فى رمال الصحراء ..

وأما الجواد الأبيض فقد سار فى أعقاب الجيش المرتد انكساراً ، ثم جمح بصاحبه إلى حيث لقى مصيره الأليم ونهايته المخزية

وأما مشروع الامبراطورية الرومانية فقد كان أضغاث أحلام ما كادت تشرق عليها شمس الحقيقة المرة حتى ذهبت بها أباديد .. أو قل إنه ذهب مع الريح .. !!

● غضب رجال المخابرات

وشكر المأمور للجنرال عباراته وعطفه على المعتقلين ،

---

(١) كانت بعض الصحف قد نشرت عن مشروع موسولينى فى إنشاء الامبراطورية المذكورة مكونة من الحبشة والسودان ومصر وبرقة وطرابلس وتونس على ان يشق للنيل فرعاً فى الصحراء الكبرى ليمكنه أن يخلق الوديان فى هذه البيداء القاحلة فيحيل عدمها إلى جنات خضر تجرى بينها الانهار .!

ومضى بمن معه مزهواً بانتصاراته على رجال المخابرات ، الذين لم يرضهم ذلك فراحوا يعملون جهد الطاقة للايقاع بالشيخ على من جديد ، ويشيعون بين الأهلين أن دور المأمور فى الاعتقالات آت فى القريب ، ثم أخذوا ينسجون الخيوط من حوله للايقاع به ..

ولما كان « زهير » عنيداً فى مثل هذه الأحوال فقد نسى حرج موقفه ، واعتزم النضال معهم مهما كلفه الأمر متمثلا بقول الشاعر :

وإذا لم يكن من الموت بد * فمن العار أن تعيش جباناً !!

● **معامل تجفيف البلح ومعاصر الزيتون**

وبدأ يحطم كل إرادة لهم بقدر المستطاع ، فقد أرادت السلطات الايطالية منه أن يسلمها معامل تجفيف البلح ومعاصر الزيت الخاصة بوزارة الزراعة ، حيث أن المحصول على وشك النضج ، فأبى بحجة أن حكومته لم تأمره بذلك ، قائلا لهم وقد اشتدوا فى الطلب :

تستطيعون أن تستولوا عليها بالقوة لأنكم الآن أولى بأس .. أما أن أقوم فأسلمكم شيئاً باختيارى فهذا ما لا يمكن أن أفعله ..

وانتهز رجال المخابرات هذا الظرف وحاولوا خلق مشاكل بينه وبين السلطة المحتلة ، لتكون النتيجة الايقاع به واعتقاله .. ولكنه استطاع أن يحل الأمر حلا وسطاً ، فأجر المعامل للشيخ على ، وقبض الايجار مقدما ، وكذلك التأمين الذى جعله ألف جنيه .. !

ورجعت السلطات على المأمور تطلب إعطاء المعامل لأحد غير الشيخ على أحمد صالح . حيث أنه غير موثوق فى إخلاصه للقوات المحتلة .. فطرح المأمور أمر التأجير فى المزاد العلنى ، ولمن أراد أن يتقدم أن يدفع التأمين الذى قدره ألف جنيه مصرى .. !!

ولما لم يكن فى الواحة من يستطيع دفع هذا المبلغ غير الشيخ على فقد رسى عليه المزاد ، وبذلك سكتت السلطات الايطالية ، وانتصر المأمور على رجال المخابرات

الذين عملوا فى هذا الموضوع بنشاط غريب مرة أخرى.

ثم انتهز المأمور فرصة اجتماعه بالمشايخ وبعض رجال المخابرات وصرح للايطاليين قائلا :

«ان عبد الرحمن زهير فرد واحد لو ذهب فسيكون كأحد أولئك الذين ذهبوا ضحية غاراتكم الغاشمة على مدينة الاسكندرية ولن يخسر الشعب المصرى شيئاً بفقده ، حتى ولا أبناء عبد الرحمن زهير أنفسهم سيخسرون شيئا .. ولكننى أؤكد لكم أنه لو مست شعرة واحدة من هذا الرجل فسيغضب لها ستة عشر مليوناً وحكومة من أكبر حكومات الشرق الاسلامي .

قال ذلك وأخذ فى نصح الأهلين بالتوافق ، وعدم الخلاف ، حتى لايؤدى بهم هذا الذى هم مندفعين فى سبيله إلى نتائج غير مرضية .. !!

● محمد افندى رضوان

وسارت الأمور فى تعقيد حتى كاد يتعذر على المأمور القيام بأعباء منصبه .. ولقد ازدادت تعقيداً عندماظهر

فى الواحة «الكيرنال الألمانى كوفش» ومعه شاب مصرى يدعى «محمد افندى رضوان» ، قال إنه كان ضابطاً بالجيش المصرى وانضم للالمان لما أن رأى صدق دعوتهم، وراح هذان الرجلان يتغلغلان بين الأهلين لترويج دعايات كاذبة لاختبار ميول الأهالى من ناحية . ولنشر مبادىء النازية بين ذوى الأدراك فى الواحة .. من ناحية أخرى .. ولقد أقاما سبعة أيام (١) كانا خلالها مصدر متاعب شتى للمأمور الذى اضطر معها للتهديد أكثر من مرة باعتزال العمل ، حتى ان «الجنرال اسمايلو دينزيو» انتقل اليه فى مكتبه فى قسم البوليس ، وحدثه بما هدأ ثورته وطمأن نفسه .

— ٥ —

● فروم روميل

وفى الساعة الواحدة من صباح ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٢

---

(١) ظهر محمد افندى رضوان والكيرنال كوفاش فى سيوه فى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٢ وارتحلا بعد أسبوع من هذا التاريخ . !?

أبلغت السلطات الايطاليـة المأمور تلفونيا أن «الفيلدماريشال روميل» سيصل إلى سيوه حوالى الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم، وأنه يجب أن يستقبل استقبالا رسمياً منه ومن الموظفين والمشايخ والأعيان..!!

وفى الساعة ١١ر٤٥ صباحاً وصل الفيلدماريشال روميل أمام القسم، وفتش قره‌قول شرف من البوليس المصرى.

ثم أمر المترجم أن يقول للمأمور:

— إنه سعيد إذ يرى أول شخصية مصرية رسمية مسئولة..!!

فأجاب زهير بما عهد فيه من لباقة، وما هو معروف عنه من جواب حسن وبديهة حاضرة:

— إن رؤيا الماريشال حلم جميل عند جميع الناس، وأنا سعيد لأننى أول من ظفر بهذا الحلم حقيقة..!!

وسر الرجل بما سمع منه، ولكن هل تراه كان يستطيع أن يجيب بغير هذا الجواب.. وهل كان

يمكن ان ينطق بغير هذا القول.. !! أو يفوه بغير هذا الكلام المنمق..!!

ان الطائرات تظل الواحة بما تحمل من مهلكات، والقوات المسلحة، والدبابات الضخمة والسيارات المصفحة تملأ المكان من حوله..

ومن هو..؟؟

إنه واحد منفرد، يقف أعزل بين هؤلاء المعتدين ذوى العدة والعديد:

إن قضاءه معلق بين أمرين، حسن سياسته وكياسته، وإشارة من بنان هذا الرجل المهيب...!!

وصمت الرجلان.. وكان رجلنا يفكر فيما قال..

وهل هو حقيقة نطق بما فى نفسه، أوما يماثله ؟؟

إنه كان يتمنى أن يراه.. مافى ذلك ريب. كما يتمنى كل إنسان أن يشهد بطلا من الأبطال يتردد اسمه فى كل مكان، وقد سمع به كل إنسان فى الأرض.. فرؤيا الأبطال غرام كامن فى النفوس..

ولكنه ما كان ليحب أن يراه وهو على ماهو عليه من

حال .. رؤيا التابع لمتبوعه .. والمسود لسيده .. والمحكوم لحاكمه .. والمغتصب لغاصبه .. رؤيا فيها ذلة وانكسار وخضوع ..!!

وأخذ الفيلد ماريشال روميل يعيد على أسماعهم بواسطة المترجم ماسبق ان سمعوه من رجالات المحور من احترامهم لسيادة مصر واستقلالها ..

ودعاه المشايخ لتناول الشاى فى الحفلة التى سيقيمونها تكريما له بحديقة الشيخ مشرى محمد سعيد – وبينهم يتناولون الشاى سأل الفيلد ماريشال روميل زهيراً الذى كان غير بعيد منه قائلا :

– ماشعوركم كمصريين نحونا نحن الألمان ..!!

ووقع « زهير » فى ورطة ماكان يرجوها لنفسه ، وصار فى موقف لايحسد عليه ، ولكنه استطاع أن يجيب :

– إن شغفنا ياسيدى ، بملكنا الشاب ، واستقلالنا الجديد ، لم يدع لنا متسعاً من الوقت للتفكير فى شىء آخر ..!!

فقال روميل : نرجوا أن تعملوا من جانبكم للمحافظة على هذا الاستقلال .

وصمت الرجلان .. وصمت بصمتهم الجميع .. وكان زهير يخشى أن يوجه الرجل اليه سؤالا آخر . لايستطيع الاجابة عليه بما يتمشى مع مافى نفسه من شعور ، ويوافق هوى الغاصب القوى ، لذلك اعتزم ان يسد عليه الطريق حتى لا يسأله ثانية فقال موجها الكلام اليه :

متى سيهجم جناب الماريشال من العلمين .. ؟؟

فاتجهت اليه الانظار ، وشعر زهير فى الحال أنه أطلق من فمه شرارة سوف لاتلبث أن تصيبه بحريق هائل .. فتصبب العرق البارد من جبينه ، إذ أدرك حقيقة الخطأ الذى وقع فيه ، وظل برهة غير قصيرة ينتظر قضاءه المعلق بين شفتى هذا الرجل .. الذى نطق فى هدوء قائلا « يلزم الصبر !! »

وتنفس المأمور الصعداء ، وصمم على الا يتكلم . ولحسن حظه أن روميل لم يوجه اليه كلاما بعد ذلك .!

ثم قدم روميل هدية للمشايخ عبارة عن علبتين من

الشاى زنتهما ٣ر٥٠٠ ك ومبلغ عشرة آلاف ليرة إيطالية .. ثم ارتحل عن الواحة فى نفس المساء .. !!

— ٦ —

● **العملة والتعامل**

أما التعامل بين الأهلين والقوات المحتلة ، فقد كان مشكلة المشاكل حقاً .. فالأهالى لا يقبلون الليرات الايطالية ، ولا يعترفون بها كعملة ، والجنود يرغبون فى شراء كل ماتقع أعينهم عليه ، شغوفين بكل شىء كالأطفال وقد نزلوا سوق المدينة لأول مرة .. ؟؟

وبعد جهد جهيد ، ووعيد وتهديد من السلطات المحتلة ، قبل الأهالى الليرات كعملة ..

واندفع الجنود فى الشراء غير مقيمين أقل وزن للنقود وانتهز الأهالى هذه الرغبة الملحة ، وراحوا يغالون فى الأسعار ، حتى بلغت حد الفحش ، مما جعل السلطات المحتلة تضج بالشكوى إلى المأمور ، ففى يوم ١٠ سبتمبر

خاطب ضابط الاتصال « الكابتن بلدا سيرا » المأمور بأن يسمح له بمقابلته فى مكتبه ، فلما أن اجتمعا قال له :

« إن الأهالى مايزالون يبيعون البيض والفاكهة للجنود بأسعار فاحشة جدا ، وإن لم يوقف ذلك فى الحال فسترفع السلطات الايطالية أسعار الدقيق والأرز والشعير التى تقدمها للاهالى بنفس النسبة .. !! »

لذلك أصدر المأمور أمراً بالتسعير الجبرى حدد فيه الأسعار كالآتى :

الصنف	الوحدة	السعر	
		مليم	جنيه
الشاى	بالأقة	–	١
السكر	»	١٠٠	–
زيت البزرة	»	١١٠	–
الدقيق	»	٠٥٥	–
الأرز	»	٠٥٥	–
العدس	»	٠٥٠	–
الفول	»	٠٥٠	–

الصنف	الوحدة	السعر
		مليم / جنيه
لحم الضأن	بالأقة	٣٠٠ —
العنب	«	٠٧٠ —
البصل	«	٠٤٢ —
البيض	واحدة بالعدد	٠١٥ —

أما الأشياء التى لم تدخل التسعيرة فقد تغالى فيها الأهلون إذ كانوا يبيعون الدجاجة بين ٧٠٠ مليم وجنيه مصرى ، والزوج الحمام بين ٢٥٠ مليما و ٣٠٠ مليما وعلبة الكبريت ٣٠ مليما ..

وكان الأهالى يقبلون هذه الأثمان مادام الدفع بالعملة المصرية ، أما إذا كان الدفع بالليرات فانهم لا يرضون أضعاف هذا الثمن ، مما جعل قيمة العملة الايطالية تنزل عن أساسها ، الأمر الذى راع السلطات المحتلة وحملها على تحديد سعر العملة كالآتى :

● تحرير سعر العملة

٧٣ ليرة إيطالية أو ٩ر٦ ماركا ألمانيا للجنيه المصرى

٧١ ليرة إيطالية أو ٩ر٣٦ ماركا ألمانيا للجنيه الانجليزى

وأوصت السلطات بضرورة اتباع هذه التعليمات ، غير أن الأهلين لم يأبهوا لذلك ، بل راحوا يرفضون الليرات رفضاً باتاً ، وكل من أرغم على صفقة بالعملة الايطالية حاول جهد الطاقة الخلاص منها ، بأى ثمن مهما انحطت قيمته وقل قدره ، الأمر الذى جعل قيمتها تهبط حتى بلغت قيمة الجنيه المصرى أربعمائة ليرة ، مما اضطر الجنرال لتكرار وعيده وتهديده ، إذا لم تقبل الليرات الايطالية بالسعر المحدد لها ..

● فرصة

وكان الجنود الألمان ينتهزون هذه الفرصة ـ فرصة رغبة الأهلين فى التخلص من الليرات ـ ويشترونها منهم ، بالسعر السابق الذكر ، وقد علمت السلطات الايطالية ذلك ، وقال ضابط المخابرات للمأمور فى عرض الحديث : إن الألمان قوم غير حسنى النية إذ أنهم يشترون الليرات

بهذا السعر المنخفض وينقضون بها على أسواق إيطاليا الشمالية فيكنسونها كنساً . !!

ولقد حاولت السلطات المحتلة ، مع المأمور محاولات شتى لتجبره على الاعتراف بالليرات كعملة رسمية . . ولكنه رفض رفضاً باتاً حتى جاء يوم حكم فيه على بعض الأشخاص بالغرامات لأنهم باعوا الجنود المحتلين بعض مواد المعيشة ، وخالفوا التسعير الجبرى ايضاً . . فحاول هؤلاء المحكوم عليهم ، الدفع بالعملة الايطالية ، فأبى المأمور ، وأجبرهم على دفع الغرامات بالعملة المصرية ، فجاءه ضابط الاتصال ، موفداً من قبل الجنرال وقال له بغضب :

« إن فى رفضك العملة الايطالية عند دفعها فى الغرامات عدم اعتراف بها .. وفى ذلك دعاية سيئة ضد عملتنا التى يجب أن تقبل فى الخزانة المصرية التى تحت يدك !! »

فأجاب المأمور « إن قوانيننا المصرية لا تسمح بقبول العملة الأجنبية أياً كانت فى خزائن الحكومة المصرية ، وها أنتم أولاء تنقضون تصريحكم الرسمى باحترام سيادة

الحكومة المصرية واستقلالها .. وإنه ليؤسفنى أن أعلن لكم بأننى سأبطل الحكم بالغرامات إذا أصررتم على ذلك . . » فمضى ولم تتكرر المحاولة . . !!

ومما لوحظ فى هذا الصدد أن الألمان من الجنود كانوا يملكون عملة مصرية أما الايطاليين فكانت عملتهم جميعها إيطالية .. !

— ٧ —

● العيد

وحل عيد الفطر ، وأخذت الوساوس تنتاب الأهالى والموظفين . فهل سيستطيعون الاحتفال بالعيد كالمعتاد ؟؟ أم أن الغاصب سيغلبهم على أمرهم ، فيلزمهم دورهم واجمين .. ؟؟

غير أن المأمور كان حريصاً كل الحرص على أن يحتفظ دائماً بالمظهر القومى ، والطابع المصرى ، خصوصاً فى هذه الظروف الحرجة . فحزم أمره على أن يحتفل بالعيد رسمياً مهما كلفه الأمر ، وتشاور مع المشايخ فى ذلك ، ثم أعلن السلطات المحتلة بموعد الاحتفال

وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم العيد، فتش المأمور «قره قول شرف» من البوليس ، فى حفل رائع حضره جميع المشايخ بملابسهم الرسمية التى سبق أن اهداها لهم جلالة الملك فاروق .. وكذلك الأعيان ..

وكم كان مهيبا جليلا صوت الجند والأهالى يتردد فى أجواز الفضاء . وهم يهتفون بحياة جلالة ملك مصر..!!

كانت صيحاتهم صادقة صادرة عن قلوب شعرت بالعزة القوميــة عندما أصبحت فى كنف الاحتلال .. ولقد نفذت حرارة هذا الهتاف الصادق إلى نفوس المحتلين فأحسوا بقوته .. ولمسوا فيه عظيم حب الأهلين لمليكهم المفدى . حتى أن الجنود الايطالية صاروا بعد ذلك إذا أراد أحد منهم أن يحيي أحد الأهالى قال له «فاروق» بدلا من « سعيدة » ! !

وكان الجنرال نفسه يرقب الاحتفال من خــلال الأشجار ، وبيده منظاره المكبر .. ؟؟

وعندما انتهى المأمور من تفتيش « قره قول الشرف » دخل مكتبه ليستقبل المهنئين ، وقــد أوفدت القيادة

الايطالية مندوباً عنها برتبة « الماجور » يصحبه ضابط الاتصال ، وضابط المخابرات الحربية ، وبعد خروجهم ، أقبل مندوب القيادة الألمانية يصحبه نفس الضابطين .. وقد أناب المأمور عنـه أحـد الموظفين فى استقبال القادمين خارج المـكتب . . أما هو فلم يغادر مكتبـه بصفته رئيساً للاحتفال .. !!

ومع هذا فقد أذاع « راديو بارى » فى نفس المساء « إن المأمور استقبل منــدوبى القيادة خارج قسم البوليس إكراماً لهم وتجـلة » وكم ضحك الأهالى وهم يسمعون هذه الاذاعة .. !!

***

ولقد لمست السلطات الايطالية فى المأمور والموظفين ناحية الضعف بأن لهم أهلا وأنباء ، فأرادت استغلال هذه الناحية ، بأن طلبت اليهم أن يتكلموا فى الراديو ، محدثين أهلهم وذويهم ، كما فعلت انجلترا بالمصريين المقيمين فيها ، حتى يعلم أولئك الذين هم فى معزل عنهم ، أنهم بخير ، وأن سلامتهم لم تمس .. ولكن المأمور رفض ،

وحذر بقية الموظفين من أن يقعوا فى مثل هذا الخطأ ، إذ أدرك أن هـذه الاذاعة لن تكون قاصرة على مصر وحدها ، بل ستفتح الاذاعة على جميع محطات العالم وفى هذا دعاية من دعايات المحور ، لا يمكن أن يكون هو ومن معه من أنصارها .. ففشلت المحاولة ، وفوتها المأمور عليهم. الأمر الذى أغاظهم وجعلهم يعملون على إبعـاده عن الواحة حتى يخلو لهم الجو . ففى اليوم الخامس والعشرين من اكتوبر طلبت السلطات الايطالية إلى المأمور أن يقوم بالطائرة إلى مطروح ليكون كعضو فى « القومسيون » الذى سيتألف للنظر فى تعويض العربان المصريين عن خسائرهم التى أصابتهم من جراء السيل الذى اجتاح ممتلكاتهم ، فدهش المأمور لهذا الطلب .. خصوصاً وأن العربان لم يسبق لهم أن عوضوا على شىء فقدوه من جراء عبث السيول بهم .

● وكانت أنباء معركة العلمين الدائرة الرحى ، قد بدأت تصل اليهم فى غير تضليل .. فعارض المأمور فى الرحيل.. إلا أن السلطات ألحت فى ضرورة قيامه بحال أصبح

معها يخشى عاقبة الرفض ، خصوصاً وأن الهمس قد كثر من حوله ، فاستولت عليه الهواجس ولكنه استسلم لقضاء الله فيه ، وقدره عليه ، وقام فى اليوم الثانى من نوفمبر فى الساعة الرابعة مساء إلى مطروح حيث وصلها فى السادسة من مساء اليوم . يصحبه ضابط المخابرات « ليزى » فقابل قائد منطقة مطروح الجنرال « توبى » الذى كان ساعتئذ مهتاج الأعصاب . بعيداً عن كل مجاملة ، حتى أن أحد ضباط المخابرات الألمان اعتذر للمأمور عن ذلك قائلا ، (ان أخبار معركة العلمين ترد سيئة جداً لذلك فهو متهيج الأعصاب قلق الخاطر .) وقد قضى المأمور ليلته الأولى فى الصحراء على مسافة عشرين كيلو متراً من الساحل . ! !

وفى ذلك يقول المأمور :

« وفى صباح اليوم الثالث من نوفمبر توجهت إلى مطروح ، وهناك وجدت بعض أعيان البدو بمكتب المخابرات ، ولم يكن هناك خسائر سيل ولا قومسيون .. بل طلب إلى أن أنظر مع العربان فى أمرين أساسيين :

أولا : إن المريشال روميل يريد نقل جميع العربان الموجودين شرقى مطروح . . مابين فوكة ومطروح إلى غربها فى مدة لاتتجاوز عشرة نوفمبر . !

ثانياً : يريد أن أعين بعض أعيان العرب ليعملوا كمشايخ حيث يتحدثون باسم العربان ويتسلمون التعيينات التى تزمع السلطات الايطالية إحضارها لتوزيعها على العربان !

أما فيما يختص بالأمر الأول فقد عارض العربان معارضة شديدة ، فى الانتقال إلى غربى مطروح . . وصرحوا بأن كل ما يمكنهم أن يفعلوه أمام هذه الرغبة هو أن ينتقلوا إلى مكان يسمى « الشنيمة » قبلى شرقى مطروح .. وقد أيدتهم أنا فى ذلك . . ولكن رجال المخابرات غضبوا لمعارضة العربان فيما يريدون فاذا برجل عربى يتقدم منهم ويقول فى جرأة نادرة « نحن لانجهل سياستكم ، فأنتم تريدون أن تفعلوا معنا كما فعلتم مع أهل ليبيا ، فتجمعونا فى مكان واحد لتتحكموا فينا وتميتونا جوعا . إننا لن نتحرك من مكاننا ، ولن تخيفنا

مدافعكم . افعلوا ما أردتم . ! » وتركهم الرجل ومضى لايلوى على شيء . فرأى ضابط المخابرات والحالة هذه أن أتوجه إلى الجنرال فأخبره بما تم فى الأمر. ولما أن بلغته وجدته لايزال ثائراً مهتاجا كالأمس . وعندما أخبرته بما تم فى الموضوع الذى كلفت ببحثه قال : « حسنا . . يمكنك أن تتوجه إلى القيادة العليا للاتفاق معها على ذلك . ! ! » وعند ذلك أحسست بالفخ الذى نصب لى وبعث الله فى من الشجاعة مامكننى من أن أقول :

« إن القيادة العليا فى ليبيا انما هى قيادتكم وليست قيادتى . ومهمتى هنا هى النظر فى أمر الرعايا المصريين ، ولم تعطنى حكومتى تصريحا بمبارحة الأراضى المصرية بأى حال . لهذا فانى آسف لرفض ذلك . ! »

وهنا تكاتف الضباط الموجودون بمكتب الجنرال ، وعددهم نحو الستة على إغرائى بالسفر إلى ليبيا لمصلحة المصريين وكانوا كلما أسرفوا فى إغرائهم ، كلما ازددت إصراراً على الرفض ، وقلت : يمكنكم أن ترسلوا من

تشاءون للقيادة العليا فى ليبيا . وأن تسمحوا لى بأن أتوجه إلى برانى لزيارة العربان هناك »

وكم كان مضحكا ألا يسمح لى الجنرال بذلك . بدعوى أن الطريق غير مأمون من الطائرات . ولست أدرى إذن كيف كان سيكون مأمونا لو اننى قبلت التوجه إلى ليبيا ؟

وأمضيت الليلة الثانية عند عربان « العشيبات » غربى مطروح . وفى اليوم التالى اجتمعت بأعيان العرب بمكتب المخابرات حيث انتخبت منهم أفرادا ليقوموا بأعمال المشايخ لحين عودة المشايخ الرسميين ، وأفهمتهم أن يكون همهم هو العمل على مصلحة العربان طبقا للقوانين المصرية والعوايد العرفية الموروثة بينهم .

وبهذا انتهى عملى فى يوم الاربعاء ٤ من نوفمبر ، فطلبت فى المساء من نفس اليوم أن يعمل الترتيب لعودتى إلى سيوه بالطائرة . التى تقوم صباح الخميس . فأبلغنى الجنرال بأنه يأسف لعدم وجود محل بالطائرة . وإنها ستنقل قنابل يحتاجون اليها فى سيوه . وإنه يمكننى أن أنتظر

حتى يوم الاثنين ٩ من نوفمبر فأصررت على القيام حالا . وكان هناك إغراء آخر لأرضى بالبقاء ، مما جعلنى أوجس شرا وأصر على السفر . وأمضيت الليلة بمطروح فى نكد وهم عظيمين فلم تذق عينى الغمض لحظة وفى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح الخميس خمسة من نوفمبر أبلغت أنه يمكننى أن أقوم إلى سيوه بالطائرة التى ستقوم فى الساعة الثامنة صباحا وحدى . ويبقى الضابط « ليزى » بمطروح .

فى الحقيقة توقعت أمورا كثيرة وراحت تتضارب فى رأسى الوساوس والأفكار ، ومن بين ما كنت أخشاه أن ألقى من الطائرة من ارتفاع شاهق كما فعلوا بعمر المختار أو أن تستمر بى الطائرة إلى ليبيا . ولكنى أسلمت أمرى إلى الله وركبت الطائرة وإذ رأيت قمم النخيل تلوح كالمرج الأخضر والطائرة تحوم للنزول تنفست الصعداء وإذ أحسست قدمي على الأرض بالواحة ، أقسمت ألا أسمع لقول يقولونه لى مرة أخرى . ! »

● جلاء

وأخـذت الأخبار الواردة عن معركة العلمين تسوء يوماً عن يوم ، حتى لم يبق للقوات المحتلة أمل فى البقاء فى الواحة .. لذلك راحت تبيع للأهلين ما هى فى غنى عنه من مؤن .. حتى إذا ما فرغت منها وأزمعت الرحيل طلبت السلطات الايطالية إلى المأمور أن يعلن فى الواحة أن الايطاليين يقبلون استبدال الليرات الايطالية بنقود إنجليزية . أو مصرية لمن يريد ذلك .. وما أن سمع الناس بهذا النداء ، حتى أقبلوا يتدافعون بالمناكب .. وقد تم استبدال آلاف من الليرات مقابل أربعة عشر ألفاً من الجنيهات الاسترلينى دفعها الايطاليون مما عثروا عليـه فى طبرق عند دخولهم إياها آخر مرة .. !!

ولم يأت ظهر اليوم الثامن من نوفمبر سنة ١٩٤٢ حتى كانت جميع القوات الايطالية والألمانية قد انسحبت من سيوه إلى الجغبوب .

● اعتقال

وفى اليوم الثالث عشر من نوفمبر ، وصل إلى سيوه « موتوسيكل بسيتكار » وبه ثلاثة من صف الضباط الطيارين الألمان .. وكانت طائرتهم قد سقطت بهم بجهة الساحـل . . فجاءوا إلى سيوه ليملأوا « الموتوسيكل » بالبنزين » حتى يمكنهم متابعة رحلتهم إلى ليبيا .. فألقى المأمور القبض عليهم .. حيث سلمهم لأول فرقـة من جيش الحلفاء دخلت سيوه بعد ذلك .. !!

وبهذا تـكون الواحة قد قضت ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً تحت نير احتلال أشرس أمة فى الأرض .. !! وكم كان سرور الأهالى والموظفين عظيما عندما رأوا أول فصيلة من جيش الحلفاء تدخل الواحة من جديد . فقد اطمأنت نفوسهم ، وانجاب عنهـم ظل الخوف وراحوا يتبادلون التهانى فى فرح غريب .. !!؟

ملاحظات

ومما هو جدير بالملاحظة أن الجنود الايطاليين كانوا سيئى الأخلاق والسلوك الى حد بعيد، فما كادوا يدخلون الواحة حتى انبثوا كالجرذان بين الحدائق، سالبين مايعثرون عليه من فاكهة وثمار.

وضج الأهلون بالشكوى الى المأمور مما نالهم من خسائر. وقام المأمور فرفع الشكاوى إلى القيادة الدورية بالواحة، وأجرت القيادة تحقيقات دورية، ألزمت بعدها المعتدين من الجنود بدفع التعويضات لمستحقيها. ثم طلبت إلى المأمور، فى رقة ألا يجعل التبليغ عن مثل هذه الأعمال رسميا بل عليه أن يكتفى بالتبليغ الشفوى فى المرات المقبلة.

وفى ذلك يقول الأهلون: «ولما أن رأينا الجنود الطليان أكثروا من العدوان، أخذنا فى المحافظة بقدر الامكان على حدائقنا، واحتجزنا أغنامنا وماشيتنا فى دورنا وصرنا لا نخرجها حتى للسقى. والشىء الوحيد الذى كنا نعتقد أنه فى مأمن من السلب والنهب، إذ لا نفع لهم فيه، هى الحمير، فقد تركناها تروح وتغدو بغير حراسة جدية. ولكننا

مالبثنا أن لاحظنا أن بعضها يختفى ولا يظهر له أثر، وبتنا فى غرابة من الأمر فلم يتعود أحد فى سيوه السرقة مطلقا!

ولكن السر ما لبث أن أميط عنه اللثام، فقد وجدنا فى إحدى الحدائق كومة من الرؤوس والأرجل ملقاة بالقرب من مأوى بعض الجنود.

وشك البعض وأنكر البعض الآخر، حتى تحققنا بأنفسنا»

منذ هذه اللحظة عرف الأهلون ما للجنود الايطاليين من شغف كبير بلحم الحمير، فراحوا يحافظون عليها ثم يبيعون ما هم فى غنى عنه منها وهكذا ارتفع ثمن الحمار حتى وصل الى خمسة عشر جنيها!

وكانوا إذا ظفرت طائفة منهم بحمار رقصوا طربا قبل إقامة الوليمة، ولا تزال فى سيوه كومات من الرؤوس والأرجل يحتفظ بها السيويون مكومة فى بعض الحدائق كذكرى جميلة للايطاليين!

ومن طريف ما يذكر الأهلون، أن القوات المحتلة وعدتهم بأنها ستحضر لهم ما هم فى حاجة إليه من الملابس، وما لبث أن هبط الواحة بعض تجار البدو، يحملون معهم

عدداً من فانلات صوفية انتزعوها من القتلى فى الصحراء.. وكانت ملوثة بالدم .. !!

فما كان من الجنرال إلا أن ابتاعها جميعاً ولبسها هو وهيئة مكتبه .. ثم راحوا يكررون للأهلين وعدهم السابق بأنهم سيحضرون لهم حاجتهم من الملابس ..

● ومن أهم ماعده الايطاليون على الألمان كعيب فيهم «أنهم يحبون الاستحمام والنظافة والأكل الدسم، وفى مواعيد منظمة، ولا يتنازلون عن شىء من حقهم فى الطعام مطلقاً»

● ورغم ماكانوا فيه من أغلال فقد أقاموا مسرحاً فى الواحة، ولكنهم انسحبوا قبل أن تتم بروفات المسرحية التى أرادوا تمثيلها .. ومما هو جدير بالذكر ان الجنود كانوا يرددون دائماً بحماس، لكل فرد بمناسبة وغير مناسبة، عندما كانت جيوش المحور ما تزال مرابطة عند العلمين : (دومانى ماتينا كايرو !) أى غداً صباحاً نصل القاهرة . !

ولما أخذ روميل فى الانسحاب، راح الأهالى يسألونهم عندما يلتقون بهم : (دومانى ماتينا .. ؟ ؟)

فيقول الواحد منهم متمماً الجملة (روما .. !!)

الكتاب التالى للمؤلف

ضحك وبكاء

شركة الشرق للطباعة (مطبعة الاتحاد)
١٧ حارة الرويعي بمصر